نشر ثقافة اللغة العربية الصحيحة بين أفراد المجتمع أو: الثقافة اللغوية مسؤولية من؟

أ. د. عوض بن حمد القوزي
باحث

ينظر المجتمع إلى مؤسساته التعليمية على أنها مراكز مسؤولة عن ترسيخ الثقافة اللغوية لدى الناشئة وتمكينها لدى الراشدين، ويرى أنها الحاضن الرئيس لا للغة فحسب، بل للمعارف كلها، إضافةً إلى تنمية الذوق ومهارات الاكتساب، وأنها كذلك المصنع الصحيح لإعداد الطفل إعدادا سليما لمواجهة الحياة المقبلة، بشخصية متزنة فاعلة، قادرة على الإنتاج، متمتعة بروح المواطنة الصحيحة. إلا أن المرحلة التي تسبق المدرسة لا تزال ذات أهمية قصوى في تنشئة الطفل جسدياً وفكرياً ولغوياً واجتماعياً، فهي مرحلة التأسيس لحياة المستقبل، إذ إن لها تأثيراً في عقل الطفل، وحصيلته اللغوية المستقبلية، وحسبك بها من مرحلة خصبة في غرس التفكير الصحيح لديه، وإعطائه مفاتيح المعارف اللغوية في أبجديات يتعلمها بالمعايشة، ويكتسبها من حيث لم يقدمها له معلم. فالكلمة – أي كلمة – تعلق في ذهنه، فيعيد إنتاجها بعد تخزينها في مخيلته الخصبة، فيُبرزها على هيئة لم يسبقها تفكير في المعاني، ولا تكلُّف ولا حرج، فلو سمع من والديه ألفاظاً تخدش الحياء، أو تنمي القيم الأخلاقية، والذوق الرفيع، أو رأى منهما سلوكا غير سوي فإنه سيكتسب ذلك، وفي لحظة ما سيظهره أمامهما أو في حضرة سواهما من بقية الأهل أو الأصدقاء. ولا أدل على ذلك من محاكاتهم لما يرون من مشاهد تلفزيوية أو يسمعون من شخصيات صدرت عنها تلك الكلمات أو الحركات، ويحاكونها، لا فرق عندهم بين فصيح القول ودارجه، أو عامِّيِّهِ وسوقِيِّهِ، ولا فرق بين لغة وأخرى، فهو مُحْصٍ أمين لكل ما يرى ويسمع. ومن أجل ذلك فإن الأمم التي تحرص على تنشئة أبنائها على أسس أخلاقية

سليمة، ولغة قويمة، تراهم يحرصون على ألا يظهر أطفالهم إلا على سلوك سوي، ويجنبونهم سماع الألفاظ النابية؛ لئلا يلتقط أطفالهم ذلك دون قصد، بل إنهم لا يسمحون لهم بمتابعة برامج التلفزة التي تعرض سلوكا لا ينبغي لهم مشاهدته في عمرهم الغض. وقلَّة من الأسر العربية تجنب أطفالها تلك المظاهر والمشاهد، وقد تخطئ الوسيلة في إقناعهم بعدم حضورها.

وقليل هم الأهلون الذين يجعلون خصوماتهم الشخصية بعيدة عن مسامع أطفالهم لكيلا يسمعوا مالا يحبون أن يظهر عليه الوالدان.

"إن هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل العربي يجب أن تجند على نحو ما، لخدمة اللغة العربية، وأن تزود بما يلائم ذلك ويحققه، وأن ترفع منها النقائض التي تتمثل في إفساح المجال أمام هجمة اللغة الأجنبية.... في هذه المرحلة تواجهنا بدايات قضية أخرى هي قضية لغة البيت واختلاف ما بينها وبين لغة المدرسة...".[1]

هذه المقدمة كان لابد منها، باعتبار طفل اليوم هو رجل الغد، وأن حب اللغة يجب أن يغرس في نفسه منذ نعومة أظفاره، وألا ينتهي الإلحاح على ذلك عند سن الرشد.

تنشئة الطفل لغوياً وثقافياً هي هاجس المعنيين بأمور التربية والتعليم، إلا أنها ليست الوحيدة في تلك الرعاية، وليست المسؤولة الوحيدة عن الثقافة، أو الصالونات الأدبية، أو الأندية النقابية أو ما عرف بغير ذلك من الألقاب مما حمل على عاتقه مسؤولية الثقافة بمفهومها الشامل، واللغة مفردة من تلك المفردات التي لا يستغني عنها المثقف، فهي المظهر الذي يُبرز ثقافة الفرد إن في مفهومها العلمي العام أو في السياسة، أو الاقتصاد، أو الفن بجميع أشكاله، أو غير ذلك. ونظرة إلى الوراء تشكف لنا كيف أن تلك المجالس أخذت على عاتقها حمل رسالة الثقافة ونشرها في المجتمعات عبر العصور.

---

[1] شكري فيصل، **تحسين وسائل خدمة اللغة العربية في الوطن العربي**، ص398، من كتاب "اللغة العربية والوعي القومي"، الصادر من مركز دراسات الوحدة العربية، بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، ومعهد البحوث والدراسات العربية، ط1، بيروت، إبريل، 1984 م.

عندما شرعت في كتابة هذا البحث وقفت على مبحث للدكتور علي عبد الواحد وافي تغمده الله برحمته، مضى على نشرة نيف وأربعة عقود من الزمان جعل موضوعه "اللغة والمجتمع". وبعد الاطلاع على مضمونه، قلت في نفسي: ما أشبه الليلة بالبارحة، وإن هموم الأمس هي هموم اليوم، ولا شك أنها ستكون أيضاً هموم الغد؛ وما ذلك إلا لارتباط الموضوع بحياة الأجيال ولسان حالها، وكان لي من مضمونه ما دفعني إلى التفكير في هذه اللغة، وكيفية رعايتها مجتمعياً، وما هي حدود مسؤولية كل مؤسسة من مؤسسات المجتمع نحوها، وما الدور الفاعل الذي ينبغي أن تمارسه تلك المرجعيات، بحيث لا يستطيع الفرد أن يصنع لغته المستقلة عن لغة مجتمعه، ولن يستطيع تكوين ثقافة عميقة إن هو انتجها بمعزل عن قومه وثقافتهم، إذ إن "اللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية،... من تعبير عن الخواطر، وتبادل للأفكار،... فهي بوصفها هذا تؤلف موضوعاً من موضوعات علم الاجتماع،... وإن شأنها في ذلك شأن النظم الاجتماعية الأخرى".[1]

وما دام للحياة الجمعية هذا التأثير في تنمية لغة الفرد وثقافته – أيّاً كان عمره ومستوى ثقافته – فإن الحق هو في العودة إلى الوراء قليلاً نستقرئ التاريخ، للوقوف على روافد الثقافة ومصادرها، لا من ناحية الكتاتيب والمدارس، ولكن من جهة المؤسسات التي يُنشِئها المجتمع لتمارس رسالتها في نقل المعرفة – واللغة أوّلها –، وسنرى ذلك في مظاهر متعددة، كان لها دور في تثقيف المجتمع والارتقاء باللغة وأساليب البيان، وحققت رغبة الشادين في فروع مختلفة من الثقافة.

---

[1] انظر: علي عبد الواحد وافي: **اللغة والمجتمع**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص 4-6، عقب المؤلف عن ذلك بقوله:"أنشأ علماء الاجتماع لدراسة اللغة، – بوصفها هذا فرعاً هاماً ممن فروع علمهم فرعاً– سموه "علم الاجتماع اللغوي" أو "السوسيولوجيا اللغوية"، وقد تضافر على النهوض بهذا الفرع أعضاء المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أنشأها دوركايم (Darkheim) في أوائل القرن العشرين، وطائفة من أئمة علماء اللغة انضمت إلى هذه المدرسة واعتنقت مذهبها، ومن أشهر الأساتذة [Vendryes, Meillet, DeSaussure].

لقد عرف العرب "المجالس" منذ عصر الجاهلية، إذ كانت لهم مجالس الأدب والطرب التي كانت تتميز بها الحواضر دون البوادي، تُبيِّن تلك المجالس ما كانت عليه حياة المدن من رفاهية البشر، وطيب المقام، اشتهرت مكة ويثرب بمثل تلك المظاهر، وعرف بعض رجالها يضربون بالعود في الوقت الذي كان بعضهم مطلعاً على علوم الفلسفة والطب. ونحن نعلم أن الموسيقى هي رياضة للصبي [تعليم الصبي] يقول الجاحظ: "أما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كَتَبَهُ. وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغله عما هو أولى به، ومذهلٌ عما هو أردُّ عليه منه من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع.. وعويص النحو لا يجري في المعاملات، ولا يُضْطَرّ إليه شيء".[1]

وقال: "قد قالوا: الصبيّ عن الصبيّ أفهم، وبه أشكل، وكذلك الغافل والغافل، والأحمق والأحمق، والغبي والغبي، والمرأة والمرأة، قال الله تبارك تعالى: "**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً**"، لأن الناس عن الناس أفهم، وإليهم أسكن. فمما أعان الله به الصبيان أن قرّب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول المعلمين.

سمع الحجاج – وهو يسير – كلام امرأة من دار قوم، فيه تخليط وهذيان، فقال: مجنونة، أو ترقص صبيّاً". "وكان للعرب قبيل الإسلام مجالس أدب وطرب، فيها شيء من حياة المدن ورفاهية البشر ولاسيما في مدنهم الكبرى كمكة ويثرب[2].

قال المسعودي: "الموسيقى لا تكون إلا في أمة استكملت الحاجات فتطلعت على الكماليات كان منهم من تعلم الموسيقى والغناء وضرب من الحيرة، فقدم مكة وعلم أهلها، وكان بعضهم يكتب في الجاهلية"[3]. وطبيعي أن يجتمع الناس في مجالس الطرب والغناء كما كانوا يجتمعون

---

[1] **رسائل الجاحظ** [المعلمين] ج3، ص38.

[2] المصدر نفسه، ص37.

[3] انظر: محمد كرد علي، **الإسلام والحضارة العربية**، ج1، ط3 ، 1967م، ص135.

فيسمعون الشعراء والخطباء والحكماء، يتناقلون الأشعار والحكم والقصص، ويتعلم بعضهم من بعض بالمشافهة والرواية، حتى اشتهر كل شاعر مشهور منهم برواية شعره، وكأنه ديوانه الذي يروي على الناس شعره، ويفسر لهم بعض ما أبهم منه.

ولما جاء الإسلام انتشرت المجالس، وتنوعت اختصاصاتها، وبعدت أهدافها، وأخذ الولاة يلتمسون من يضيف إلى المجالس ثقافة جديدة فيتعلم منه الناس علوماً لم يتوفروا عليها، فهذا معاوية بن أبي سفيان – وقد توفرت في مجلسه صنوف الثقافات في زمانه– يقول لمن حوله: "وددت أن عندنا من يحدثنا عما مضى من الزمن، هل يشبه ما نحن فيه اليوم. فقيل له: إن بحضرموت رجلاً مُعَمَّراً اسمه (أمد بن أبد الحضرمي)، فأتي به. وورد عليه من اليمن (عبيد بن شَرْيَة من المُعمَّرين، وكان آية باهرة في معرفة تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم يرويها مشفوعة بالقصائد الرنانة، فأمر معاوية كُتَّابه أن يدوِّنوا ما يتحدث به (عبيد بن شَرية) في كل مجلس سمر فيه معاوية، وكان يعجب مما يلقيه عليه (عبيد) ويستزيده من إيراد الشعر، لأن الشعر – كما قال معاوية – ديوان العرب، والدليل على أحاديثها وأفعالها، والحاكم بينهم في الجاهلية".[1]

وقد أمر عمر بن عبد العزيز عاصم بن عمر الأنصاري – وكان ثقة كثير الحديث عالماً – أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة...[2] وقل مثل ذلك وأكثر عن مجالس الرشيد ووزراء الدولة العباسية واختصاصهم بالعلماء في الفنون المعرفية المختلفة، وتنافس أولئك العلماء في تلك المجالس؛ ليحوز كل منهم الفوز بمنصب الصحبة للخليفة أو الوزير. وأما في الأندلس فكانت مجالس الأمراء والوزراء تقوم بما تقوم به أكبر الجامعات في عصرنا هذا، من تنوع الثقافات الوافدة إلى قصور الولاة في قرطبة وبقية الحواضر الأندلسية، ففيها الشعر إلى جانب الطب والفلسفة والعلوم الزراعية وغيرها من

[1] المصدر السابق، ج1، ص171–172.

[2] المصدر نفسه.

العلوم، حتى غدت هدفاً لمن أراد تعلم تلك الفنون من الغربيين، فازدهرت علوم العربية، وكان للمجالس الأدبية دور كبير في ازدهار كثير من فنونها، واشتهار عدد من شعرائها وعلمائها ممن لا تزال مآثرهم تروى في مسرح الثقافة العربية حتى اليوم.

ومع الاستقرار الذي كان يسود المجتمع العربي كان للثقافة دورها في تلك المجالس، فمن أخبار الماضين وآثارهم، إلى آدابهم ولغاتهم، ففضائلهم ومثالبهم، مشتملة كل من غريب ولون طريف، وكانت تلك المجالس لا تخصص لمادة واحدة، ولا لموضوع واحد، وكانت المشافهة هي السائدة فيما يدور في تلك المنتديات، حتى إذا خيف على ما يروى أو يقال في تلك المجالس من الاندثار بموت أصحابه ونقلته إلى الجماعة، بدأ بعض عقلائهم يسعى إلى تسجيله، لينشر بعد ذهاب أربابه، فبدأت طلائع الكتب تظهر فيما كان يدور في تلك المجالس. وبحسب ثقافة مؤلفيها فإن مؤلفاتهم تروي ما قد وقع لهم أو وعوه من أحداث زمانهم أو ما وصل إليه من ثقافة الماضين، فهذا (ثعلب، أبو العباس، أحمد بن يحيى) المتوفى سنة 291هـ يجمع أخباراً متفرقة اشتملت على ثقافة لغوية كبيرة في موضوعات شتى ضمنها كتابه المعروف (مجالس ثعلب) وإن كان بعضهم يسميها (أمالي ثعلب)، والاسمان إن اختلفا لفظاً فإن ذلك الفرق دقيق إذا ما روعي أصل استعمالهما، إذ إن كلاً منهما يمثل مظهراً لما يدور من تدوين لأقوال العلماء المتصدرين للتعليم، فالأمالي هي إملاءات يمليها الشيخ – أما المجالس فإنها تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس العلماء، إذ يلقي فيها الشيخ من تلقاء نفسه، كما أنه قد يسأل فيجيب، فيدوَّن كل ذلك فيما يسمى مجلساً.[1]

ونظرة إلى مثال أو مجلس واحد، ترينا كيف كانت تلك المجالس تنعقد للارتقاء باللغة من مجالات كثيرة، فالشعر، والقصة، والخبر والتاريخ، ومدارسة اللغة، والطرف الأدبية، والتفسير، والإعراب، والحكمة وغيرها من فنون القول، فمما جاء في تلك المجالس ما رواه

[1] انظر: ثعلب، ابو العباس أحمد بن يحيى، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، النشرة الثانية، دار المعارف، ج1، ص23 من مقدمة المحقق.

ثعلب بسنده عن محمد بن سلام قال: زعم يونس بن حبيب قال: صنع رجل لأعرابي ثريدة يأكلها، ثم قال: لاتَصْقَعْهَا، ولا تَشْرِمها، ولا تَقْعَرها". قال: فمن أين آكلُ لا أبالك؟!"، قوله: لا تصقعها: لا تآكل من أعلاها، وتشرمها: تخرقها، وتقعرها: تأكل من أسفلها.[1]

وفي مجلس آخر "قال أبو العباس: وقال لنا يعقوب: بيوت العرب ستة: قُبَّة من أديم، ومِظَلَّة من شَعَر، وخباء من صوف، ويجاد من وبر، وخيمة من شجر، وأُقْنَةٌ من حجر"[2]، وليس مثل هذا وحده يدور في المجلس الواحد، فترى الشيخ ينتقل في الحديث من شعر إلى تلاوة فإلى رواية، ثم إلى لغة، وهكذا يتاح له في المجلس الواحد أن يطرق أكثر من فن، ليكون المجلس أكثر نفعاً وأشدّ جذباً لمرتاديه.

وإذا كانت مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها – كما يرى الجاحظ–.[3] فإن من تلك المذكرات ما عرف بالمقابسات، وأشهرها وأعمقها فكراً وشيوعاً "مقابسات أبي حيان التوحيدي" إذ حفظ فيها أبو حيان أحاديث فلسفية ومحاورات بين علماء عصره وأدباء زمانه، وضم إلى ذلك فصولاً من كتب فلاسفة المسلمين وكتب الفلاسفة اليونانيين، إلى جانب مما كان يرصده وهو يحضر مجالس علماء عصره، فيصغي إلى ما يدور من محاورات في تلك المجالس، وما يثار من أسئلة وما يورد من أجوبة وحلول، فيسجلها. وسواء كانت تلك المقابسات مما كان قد سمعه أو اصطنعه، فهي تُبيّن الحالة الثقافية وتشف عن المستوى العلمي والاجتماعي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الذي عاش فيه أبو حيان. إننا نجد الحوارات التي سجَّلها أبو حيان تضرب في كل فنّ، فمن سؤال عن النجوم وآخر عن النحو، وثالث عن الفقه، ورابع عن الشعر، فالحساب، ثم البلاغة، وغيرها من صناعات اللسان، يورد السؤال، ويتبعه الجواب، وكأني به في هذا التنوع الثقافي يصور نشاط أحد المنتديات العربية في زماننا هذا، حيث لا

---

[1] انظر مجالس ثعلب، ج1، ص8.

[2] المصدر السابق، ج1، ص79.

[3] الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، سنة 1399هـ/1979م، مكتبة الخانجي، ج3، ص29

يسأم روادها الحضور إليها، والاستماع إلى محاضريها، وهم يطرقون في كل لقاء موضوعاً يختلف عن الموضوع قبله وعن الآخر بعده، ويستمعون إلى الحاضرين ذوي الاختصاص وهم ينقلون تجاربهم العلمية والثقافية إلى جموع الحاضرين في أسلوب لا يستعصي على غير المختصين، ولا يمله كثير من السامعين. أثار أبو حيان سؤالاً عن النحو – ماهيته ووظيفته– فقال: "النحو الذي قصد به الماهر فتق المعاني، وصحة الألفاظ، وتوخي الإعراب، واعتياد الصواب، ومجانبة اللحن، على حدود ما في غرائز العرب وطبائعها، وسلائقها". وقال عن البلاغة: إنها "قد علم صاحبها وطالبها ما ينتهي عليه ويقف عليه من تنميق لفظ، وتزويق غرض، وتغطية مكشوف، وتعمية معروف..."[1]. وقد كشف التنوخي عن مصادر محاضراته وأنها تكونت لديه مادتها نتيجة اجتماعه "مع مشايخ فضلاء، علماء أدباء، قد عرفوا أحاديث المِلل وأخبار الملوك والدول،... وشاهد كلّ فنٍّ غريب، ولون طريف..." وضروباً شتى من أحاديثهم مما كانوا "يحكونه في أثناء مذاكراتهم،... نفياً للمساكنة واجتراراً للمثافنة، وصلة للمجالسة، وفتحاً للمؤانسة"... فيحفظ ذلك عنهم، ويتمثل به[2].

ولولا خشية الإملال والإطالة لسقت نموذجاً من تلك المحاضرات التي تصور ثقافة القرن الرابع الهجري، وكيف صارت تلك المجالس موئلاً لمحبي الأدب والشعر واللغة وأخبار الماضين وعلوم الدنيا والدين، ولعل نظرة سريعة في قوائم أسماء المجالس والأمالي مما سطره حاجي خليفة ترينا شغف أولئك المتقدمين بالمحاورات ومجالسة أصحاب الفكر والرأي في فنون عملية وضروب مختلفة من المعارف.[3] ولعل كتاب "مجالس العلماء للزجاجي" يُبرز ما كان يدور في تلك المجالس من المناظرات والمحاورات، مما يكشف عمق ثقافة أهل الفن

---

[1] **المقابسات:** حققه وقدَّمه: محمد توفيق حسن دار الآداب، الطبعة الثانية، 1989م، ص59.

[2] انظر: **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة:** تأليف القاضي أبي عليّ المِحَسّل نظر في واحد منها وقد اهتم مؤلفه بتقييد السماعَن بن علي التنوخي، المتوفى سنة 384ه، تحقيق عبُّود الشالجي، ط 1391هـ/1971م، ص1–8.

[3] انظر: حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، منشورات مكتبة المثنى، بيروت، ج2، ص 1590– 1591، ج1، ص161–166.

الواحد، وينبئ عن تفوق بعضهم على بعض، في جو ظاهره التحدي، وباطنه نقل المعرفة بعللها وأسبابها إلى من يجهل ذلك، أو يستزيد من العلم والمعرفة. وقد تعقد تلك المجالس في المسجد، أو دار الخليفة، أو الوزير، أو في الدور الخاصة حيث يقيم أولئك العلماء، لا فرق بين اجتماعهم هنا أو هناك، فهذا الأخفش يقول: "سمعت الأصمعي يقول: دخلت على الخليل بن أحمد لأستفيد منه شيئاً، فقال لي: يا كَيِّسُ ما الفرق بين الخفض والجرّ؟! ففكرت وأبطأت، فقال لي: ما صنعت؟ فقلت له: الخفض عندي: الشيء دون الشيء، كاليد إذا جعلتها تحت الرِّجل. والجرّ أن تُميل الشيء إلى الشيء، وتقيم شيئاً مقام شيء، كقولك: هذا غلام زيدٍ، فزيدٌ أقمته مقام التنوين"[1]. وفي هذا الكتاب النفيس ترى صورة واضحة لما كانت عليه دور المثاقفة في القرن الرابع الهجري، إذ يلتقي النحوي الفقيه، والنحويُّ النحويَّ، والطالب الأستاذَ، والعالم الخليفةَ أو الوزيرَ، وتدور بينهم المسائل المشكلة، فيتحاورون فيها، في جوّ لا يخلو من أريج التنافس الشريف في تحصيل المعرفة.

تلك نماذج مما حفظَتْه ذاكرة الأمة مما كان يحلِّي مجالسها من فنون المعرفة وروافد الثقافة، ولعلنا نختم تلك المؤلفات بالنظر في واحد منها وقد اهتم مؤلفه بتقييد السماع، وقد كان المسموع كثيراً ويضرب في أودية شتى، إذ إن فيه البحوث اللغوية، والتاريخ، والعقيدة، والاحتجاج على الخصوم، إنه كتاب "المجالس والمسايرات" للقاضي النعمان بن محمد المتوفى سنة 363هـ. ففي هذا الكتاب ما سمعه المؤلف من المعز، وقد وصفه بأنه "متبحرٌ في كل علم وفن، وأن له باعاً طويلاً في المباحث اللغوية" إلى غير ذلك من صنوف المعارف والاختراعات.[2] ولولا خشية الإطالة لسقت بعض ما كان يدور في تلك المجالس وبعض المسامرات، إذ فيها برهان أكيد على حرص الولاة والعلماء على نشر الثقافة وتقييدها، ليستفيد

---

[1] الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق: **مجالس العلماء**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م، مكتبة الخانجي، ص193.

[2] انظر: ص60- 63، 64، 199، 319 وغيرها.

منها من غاب عن مجالسهم، ولتكون زاداً للخالفين من محبي العربية وعلوم أهلها.[1]

وفي زمننا الحاضر نهضت بنشر الثقافة بوجهٍ عام دور العلم المنظمة، من مدارس وجامعات، إلا أن المجتمع المدني رأى أن عليه واجباً في المشاركة في تحمل أعباء نشر اللغة وحمايتها، فقامت مجامع اللغة العربية، والجمعيات العلمية وفتحت الأندية الثقافية، والصالونات الأدبية، وانتشرت المراكز الثقافية في كثير من البلاد العربية، واختطّت كل مؤسسة من هذه المؤسسات الاجتماعية أهدافها، فتفاوتت نشاطاتها، وتنوعت إسهاماتها في نشر الثقافة بين أفراد المجتمعات، وأصبح لكل واحدة منها أعضاء ورواد، وأخذ بعضها ينظم المؤتمرات الدورية بحسب ما يتوفر لها من دعم مادي ومعنوي، وتتنوع الموضوعات التي تناقشها من دورة لأخرى، ومثل ما يحصل في المؤتمرات التي تعقدها الجامعات لدراسة موضوع ما، مما يتعلق باللغة أو غيرها مما يهتم له المواطن العربي، تقوم تلك المؤسسات المجتمعية بالدور نفسه، فتبحث الموضوعات نفسها وتخرج بتوصيات لا تقل أهمية عن مثيلاتها التي تصدرها المجامع أو الجامعات، وصار لكل جمعية روادها من غير أهل البلد الذي استقرت فيه، ففي القاهرة مثلاً هناك جمعية "لسان العرب" وجمعية "حماة اللغة العربية" وجمعية "محبي تراث العقاد" وغيرها من الجمعيات ذات التخصص العلمي في المجالات المختلفة. أما الصالونات الأدبية فكثيرة جدّاً، وهذه تخصص لكل لقاء موضوعاً واحداً، قد يحاضر فيه أحد المختصين، أو ندوة يشترك فيها أكثر من متحدث، وقد اكتسبت بعض الأمكنة شهرتها واحترامها بفضل ما يمارس على أرضها من نشر للثقافة والمعرفة بعد أن كانت شيئاً مرذولاً، فصالون "الصاوي" مثلاً شَرُف بخدمة العربية وتراثها بعد أن كانت أرضه "مكبّاً للزبالة"، وأثبت أن المكان يَشْرُف بما يمارس فوقه من الفعاليات، وقل مثل ذلك عن غير مصر من نشاط دؤوب لنشر العربية ومناقشة قضاياها في جميع البلاد العربية. ففي الرياض مثلاً: هناك منتديات تعقد على مدار

[1] انظر: مناقشة المعز مع أحد النحويين من السنَّة، ص199–200 من **كتاب المجالس والمسايرات**، ط 1978م بتونس.

الأسبوع، وقد تسمى بعضها بيوم انعقاد ندوته، فمنتدى الجمعة، إلى منتدى الوفاء في الأربعاء، ومنتدى الخميسية، ومنتدى الأحد، وهناك إثنينية في جدة، شيدت لها سمعةً تجاوزت حدود المملكة بما يدور فيها من تكريم الأدباء والمفكرين البارزين – سعوديين وغير سعوديين– وكذلك الثلوثية بالرياض، إضافةً إلى الجمعيات الأخرى التي ترعاها أجهزة الدولة مشكورة، وما تمارسه الأندية الأدبية من نشر للثقافة تأتي في مقدمتها الثقافة اللغوية. وما قيل عن مصر والسعودية يقال عن سورية والأردن ولبنان والعراق وبلاد المغرب العربية ودول الخليج العربية.

نخلص من هذا أن الثقافة اللغوية أصبحت مسؤولية المجتمع بأسره، تتعاون مؤسساته العلمية – الرسمية والاجتماعية – كلها في سبيل خدمة هذه اللغة التي لم تعد رعايتها مسؤولية الحكومات وحدها، فلها في قلوب الغُيُر من أبناء الأمة مكانة أَهَّلَتْها إلى ذلك الاهتمام وتلك التضحية في سبيل الحفاظ على آدابها وتراثها، وأصبحت تلك المنتديات والصالونات العلمية تحظى باحترام المسؤولين كما نالت اهتمام المثقفين.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا، عليه توكلنا وإليه أَنَبْنا وإليه المصير.